ابن عساكر

أعـــلام المؤرخـــين

المؤرخ الكبير ابن عساكر وكتابه
"تاريخ مدينة دمشق"

هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر، ولد في المحرم في أول الشهر سنة تسع وتسعين وأربعمائة في مدينة دمشق.

أخذ العلم والفقه منذ الحداثة بدمشق حيث عاش في بيت جليل وقد كان أبوه الحسن بن هبة الله شيخًا صالحًا [١] عدلاً محبًّا للعلم مقدرًا للعلماء مهتمًّا بأمور الدين والفقه.

يقول د. صلاح الدين المنجد في مقدمة المجلدة الأولى من تاريخ ابن عساكر [٢]: كان للبيئة التي نشأ فيها الحافظ ابن عساكر أثر كبير في اتجاهه نحو العلم ونبوغه فيه فقد نبت في بيت قضاء وحديث وفقه وكان ألاف هذا البيت من كبار علماء دمشق وقضاتها [٣] فما رأى ابن عساكر منذ نشأته غير العلماء وما وعى غير العلم.

وكان أخوه الأكبر صائن الدين هبة الله [٤] بن الحسن فقيهًا مفتيًا محدثًا قرأ القرآن بالروايات وتفقه وبرع ورحل فسمع وقرأ الأصول والنحو وتقدم وسمع الكثير وأعاد بالأمينية لشيخه أبي الحصن السلمي ودرس وأفتى وكتب الكثير وكان إمامًا ثقة ثبتًا ديِّنًا ورعًا [٥].

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي: ٧ / ٧٠.
(٢) تاريخ ابن عساكر المجلدة الأولى: ص ١١.
(٣) أبوه الحسن كان قد صحب نصر المقدسي وسمع منه انظر طبقات الشافعية للسبكي ٧ / ٧٠.
(٤) انظر ترجمته في طبقات السبكي ٧ / ٣٢٤ سير الأعلام ٢٠ / ٤٩٦ وفيات الأعيان ٢ / ٤٧٣ فوات الوفيات ٤ / ٢٣٥ النجوم الزاهرة ٥ / ٣٨٠ شذرات الذهب ٤ / ٢١٠.
(٥) طبقات الشافعية للسبكي ٧ / ٣٢٥ وسير الأعلام ٢٠ / ٤٩٦.

سمع أبا القاسم النسيب وأبا طاهر الحنائي وأبا الحسن بن الموازيني وأبا علي بن نبهان وأبا علي بن مهدي وأبا الغنائم المهتدي بالله وأبا طالب الزينبي ولد سنة ٤٨٨ هـ ومات في شعبان سنة ٥٦٣ هـ.

وأما أخوه محمد بن الحسن بن هبة أبو عبد الله كان قاضيًا [١] وقد نشر أولاده الستة العلم والحديث.

وكانت أمه من بيت القرشي أبوها يحيى بن علي بن عبد العزيز القاضي الفقيه الكبير وكان عالمًا بالعربية ثقة حلو المحاضرة فصيحًا.

سمع عبد العزيز الكتاني والحسن بن علي بن البري وحيدرة بن علي وعبد الرزاق بن الفضيل وأبا القاسم بن أبي العلاء وارتحل إلى بغداد فسمع بها وتفقه على أبي بكر الشاشي وبدمشق على القاضي المروزي والفقيه نصر.

وقد سمع منه وروى عنه ناقلته أبو القاسم بن عساكر.

وأما خاله أبو المعالي محمد بن يحيى فقد سمع أبا القاسم بن أبي العلاء والحسن بن أبي الحديد والفقيه نصر المقدسي وأبا محمد بن البري والقاضي الخلعي بمصر وعلي بن عبد الملك الدبيقي بعكا وحضر درس الفقيه نصر وتفقه به [٢].

ناب عن أبيه في القضاء ثم استقل به وكان نزيهًا عفيفًا صليبًا في الحكم.

قال عنه السمعاني أنه كان محمودًا حسن السيرة شفوقًا وقورًا حسن المنظر مترددًا.

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٧ / ٧٠.
(٢) سير الأعلام ٢٠ / ٦٣ - ٦٤، طبقات الشافعية للسبكي ٧ / ٣٣٤ - ٣٣٥.

روى عنه ابن أخته أبو القاسم بن عساكر.

وأما خاله الآخر سلطان بن يحيى زين القضاة أبو المكارم القرشي الدمشقي فقد روى عن أبي القاسم بن أبي العلاء ناب في القضاء عن أبيه ووعظ وأفتى.

بدأ بتلقي علومه ودروسه باكرًا وهو في سن صغيرة فقد سمعه أخوه الصائن سنة خمس وخمسمائة. فقد كان في السادسة من عمره يومذاك فأخذ يسمع باعتناء أبيه وأخيه الصائن فسمع أبا القاسم النسيب وقوام بن زيد وسبيع بن قيراط وأبا طاهر الحنائي وأبا الحسن بن الموازيني.

وراح يتردد إلى مجالسهم ويحضر حلقات تدريسهم.

يقول د. المنجد في مقدمة المجلدة الأولى [1]: فبينة هذا شأنها.

فقد وجد فيها الحافظ ما ساعده على تفتح ذكائه وإقباله على ما رغب فيه حتى غدا مؤرخ الشام وحافظ العصر.

تفقه في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي السلمي عمدة أهل الشام ومفتيهم وكان قد لازم الغزالي مدة مقامه بدمشق وقد نقل ابن عساكر عن الغزالي قوله في أبي الحسن السلمي: خلفت بالشام شابًا إن عاش كان له شأن فكان كما تفرس فيه ودرس بحلقة الغزالي مدة ثم ولي التدريس في المدرسة الأمينية في ستة أربع وخمسمائة وهي أول مدرسة للشافعية بنيت في دمشق.

وكان السلمي ثقة ثبتًا عالمًا بالمذاهب والفرائض وكان ابن

(١) تاريخ ابن عساكر المجلدة الأولى، ص ١٤.

عساكر يتردد عليه ويحضر دروسه في المدرسة الأمينية ويستمع عليه.

رحلته الأولى إلى بغداد:

وفي سنة ٥٢٠ هـ وكان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره وكان قد استوفى قسطًا مهمًا من العلم على شيوخه بدمشق وتنوعت معارفه واتجه نحو رواية الحديث حيث جمع من معرفة المتون والأسانيد وحفظ فأتقن وقرأ فتثبت وتعب في ملاحقة المحدثين والعلماء ولم يعد يقنعه ما حصل عليه في حلقات دمشق ومساجدها ومدارسها وعلمائها [١] عزم على طلب المزيد والوقوف على آراء مشاهير العلماء والفقهاء فقرر أن يرحل عن دمشق رغبة في طلب الحديث

يقول د / المنجد في مقدمة المجلدة الأولى [٢]: وكانت الرحلة في في طلب الحديث والاستماع إلى الشيوخ أرا ذا شأن ولم يتخلف محدث كبير عن الرحلة ليتم علمه ويتلقى الأسانيد العالية.

وكانت مراكز العلم منتشرة في طول العالم الإسلامي وعرضه والعلماء والفقهاء منتشرون في كافة الأصقاع ولكن الإشعاع كان ينتشر من مراكز استطاعت أن تستقطب أهل العلم والحديث والرواية واشتهرت فيها حلقات التدريس والنقاش في مراكزها العامة كالمدارس والمساجد وفي مراكزها الخاصة كمقرات إقامة الفقهاء والعلماء والمحدثين

وكانت بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الإسلام ومجمع

(١) تاريخ دمشق السيرة النبوية قسم ١ المقدمة ص: ه.
(٢) المجلدة الأولى من تاريخ دمشق: ص ١٦.

الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف وبها أرباب الغايات في كل فن وآحاد الدهر في كل نوع.

ورغم تدني نفوذها السياسي إلى مستوى كبير فقد حافظت على دورها الاستقطابي والمحوري حيث بقيت المركز الأساسي الذي يجذب طلبة الحديث والفقه والعلوم ولم تستطع أي من المراكز الأخرى في مصر ومكة والمدينة وخراسان ونيسابور وأصبهان ومرو وهراة وسرخس وطوس أن تنال من أهمية بغداد ودورها.

وقد عرف عن أهل بغداد أنهم أرغب الناس في طلب الحديث وأشدهم حرصًا عليه وأكثرهم كتبًا له.

ويقول الخطيب [1]: وأهل بغداد موصوفون بحسن المعرفة والتثبت في أخذ الحديث وآدابه وشدة الورع في روايته اشتهر ذلك عنهم وعرفوا به.

ورحل أبو القاسم بن عساكر إلى بغداد سنة ٥٢٠ هـ وذهب من بغداد إلى الحج سنة ٥٢١ هـ فسمع بمكة ومنى والمدينة وممن سمع بمكة: عبد الله بن محمد المصري الملقب بالغزال بمكة وعبد الخلاق بن عبد الواسع الهروي بمكة وحدث بمكة ومنها قفل عائدًا إلى بغداد.

ولما دخل بغداد أعجب به العراقيون وقالوا: ما رأينا مثله وقال شيخه أبو الفتح المختار بن عبد الحميد: قدم علينا هذا فلم نر مثله [2]

وأقام ببغداد خمسة أعوام يحصل العلم فسمع من هبة الله بن الحصين وعلي بن عبد الواحد الدينوري وقراتكين بن أسعد وأبي

(١) تاريخ بغداد، ١ / ٤٣.
(٢) طبقات الشافعية للسبكي: ٧ / ٢١٧.

غالب ابن البناء وهبة الله بن أحمد بن الطير وأبي الحسن البارع وأحمد بن ملوك الوراق والقاضي أبي بكر [1].

وسمع بالكوفة الشريف أبا البركات عمر بن إبراهيم الزيدي وطوف وجاب العراق ولقي المشايخ ثم عاد إلى بغداد فأقام بها يسمع الحديث [2] ولزم به التفقه وسماع الدرس بالنظامية وقرأ الخلاف والنحو[3].

وكان ببغداد يسمى شعلة نار من توقده وذكائه وحسن إدراكه لم يجتمع في شيوخه ما اجتمع فيه [4].

وعلى هذا النحو لازم ابن عساكر بغداد متتبعًا العلماء والفقهاء وكبار المحدثين مستمعًا إليهم قارئًا عليهم مكثرًا في ملازمتهم حتى سنة خمس وعشرين وخمسمائة وقد استنفذ ما عند الشيوخ من أحاديث بالغ في طلبها منهم فأتقن حفظها وتلقى متونها وأسانيدها فقرر العودة إلى دمشق وفعلاً عاد إلى دمشق سنة ٥٢٥ هـ ليسمع على شيوخها.

رحلته الثانية إلى بلاد العجم:

وبقي أبو القاسم بن عساكر في دمشق مدة ملازمًا علمائها وفقهائها وكبار محدثيها مكثفًا الطلب منهم متعشقًا لرواية الحديث عليهم حتى غدا حافظًا فهمًا متقنًا بصيرًا بهذا الشأن لا يلحق شأوه ولا يشق غباره ولا كان له نظير في زمانه وهو بعد شاب في مقتبل العمر وبقي إلى سنة

(١) سير الأعلام ٢٠ / ٥٥٥، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي: ص ١٨٧.
(٢) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي: ص ١٨٧.
(٣) مفتاح السعادة لبطاش كبرى زاده ٢ / ٣١٨، وابن الدمياطي: ص ١٨٧، وطبقات الشافعية للسبكي: ٧ / ٢١٧.
(٤) طبقات الشافعية للسبكي: ٧ / ٢١٨.

تسع وعشرين وخمسمائة حيث عزم على التوجه إلى مراكز ازدهر فيها علم الحديث وانتشر فيها الفقهاء والعلماء والمحدثون فكانت رحلته نحو الشرق نحو بلاد العجم فارتحل إليها وطاف في مراكزها ومدنها وبالغ في طلب الحديث فيها على كبار شيوخها ومحدثيها فسمع بأصبهان ونيسابور ومرو وتبريز وميهنة وبيهق وخسروجرد وبسطام ودامغان والري وزنجان وهمذان وأسداباذ وجي وهراة وبون وبغ وبوشنج وسرخس ونوقان وسمنان وأبهر ومرند وخوي وجرباذقان ومشكان وروذراور وحلوان وأرجيش [1].

وكان توجهه إلى بلاد خراسان عن طريق أذربيجان والتقى بنيسابور بالسمعاني وفيه يقول: أبو القاسم كثير العلم غزير الفضل حافظ متقن دين خير حسن السمت، جمع بين معرفة المتون والأسانيد صحيح القراءة متثبت محتاط إلى أن قال: جمع ما لم يجمعه غيره وأربى على أقرانه دخل نيسابور قبلي بشهر سمعت منه وسمع مني.

وكان قد شرع في التاريخ الكبير لدمشق ثم كانت كتبه تصل إليَّ وأنفذ جوابها [2].

وسمع بنيسابور أبا عبد الله الفراوي ولازمه فترة وفي ذلك يقول الفراوي: قدم ابن عساكر فقرأ علي ثلاثة فأكثر وأضجرني وآليت على نفسي أن أغلق بابي فلما أصبحنا قدم علي شخص فقال: أنا رسول الله ﷺ قلت: مرحبًا بك فقال: قال لي في النوم: امض إلى الفراوي وقل له: قدم بلدكم رجل شامي أسمر اللون يطلب حديثي فلا تمل منه [3].

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٧ / ٢١٦.
(٢) سير الأعلام: ٢٠ / ٥٦٧، تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٣٠.
(٣) تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٣٤٠، وتذكرة الحفاظ للسبكي: ٧ / ٢١٩.

قال القزويني: فوالله ما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ.

ولم تقتصر رحلته وطوافه في بلاد خراسان على الدرس والتلقي والسماع إنما حدث في أصبهان ونيسابور وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هو أسن منه [١].

ودامت رحلته في بلاد العجم أربع سنوات [٢] قضاها في ملازمة العلماء والفقهاء والمحدثين متتبعًا الحديث معتنيًا بطرقه ورواته ورواياته وأسانيده فتعب في جمعه وبالغ في طلبه حتى أنه جمع ما لم يجمعه أحد.

وعاد إلى بغداد ومنها قفل إلى دمشق ويلخص أبو القاسم مشواره مع طلبه الحثيث للحديث بقوله: وأنا الذي سافرت في طلب الهدى سفرين بين فدافد وتنائف وأنا الذي طوفت غير مدينة من أصبهان إلى حدود الطائف والشرق قد عاينت أكثر منه بعد العراق وشامنا المتعارف وجمعت في الأسفار كل نفيسة ولقيت كل مخالف وموالف [٣].

هاتان الرحلتان إلى بلاد العجم وخراسان ومراكزها العلمية الكبيرة وإلى العراق وبلاد الحجاز سمحتا له بلقاء كبار الشيوخ وأعيان العلماء والفقهاء والمحدثين حيث سعى في التحصيل عليهم والإفادة منهم فحفظ وكتب الكثير وقد التقى بأكثر من ألف وثلاثمائة شيخ ومن النساء بضع وثمانين امرأة [٤].

(١) معجم الأدباء: ١٣ / ٧٦.
(٢) المجلدة الأولى من تاريخ دمشق المقدمة للدكتور المنجد: ص ٢٢.
(٣) الأبيات في كتابه تبيين كذب المفتري: ص ٤٣١.
(٤) معجم الأدباء: ١٣ / ٧٦، وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٢٨.

يقول الذهبي في سير الأعلام [1]: وعدد شيوخه في معجمه ألف وثلاثمائة شيخ بالسماع وستة وأربعون شيخًا أنشدوه وعن مئتين وتسعين شيخًا بالإجازة الكل في معجمه وبضع وثمانون امرأة لهن معجم صغير سمعناه.

عودته إلى دمشق مرحلة جديدة:

كان ابن أربع وثلاثين سنة لما عاد إلى دمشق وقرر الاستقرار فيها وذلك بعد أن حقق قدرًا عاليًا من بناء شخصيته العلمية والفقهية وبعد أن ذاع صيته وانتشرت أخباره وتناقل العلماء أخبار فطنته وسعة حفظه وإتقانه وتردد اسمه في مختلف الآفاق.

قال أبو المواهب [2]: لم أر مثله ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور قد أسقط ذلك عن نفسه وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة وأباها بعد أن عرضت عليه وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم.

قال لي: لما عزمت على التحديث والله المطلع أني ما حملني على ذلك حب الرياسة والتقدم بل قلت: متى أروي كل ما سمعت؟ وأي فائدة من كوني أخلفه صحائف؟ فاستخرت الله واستأذنت أعيان شيوخي ورؤساء البلد وطفت عليهم فكلهم قالوا: من أحق بهذا منك؟ فشرعت منذ ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٠ / ٥٥٦.
(٢) تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٣٢.

هذه المرحلة في حياة ابن عساكر هي الأكثر سعة ورحابة وقد امتدت على مدى عمره وفيها انتهت إليه رياسة المذهب وبات - كما يقول عنه ابن النجار: إمام المحدثين في وقته ومن انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان والمعرفة التامة بعلم الحديث والثقة والنبل وحسن التصنيف والتجويد وأخذ بعدما ملأته الثقة والاعتزاز بما حمله وحفظه أخذ يملي ويحدث ويصنف حيث كان بارعًا في معرفة الحديث ومعرفة رجاله وهذا ما جعله ينصرف بكليته إلى الالتزام بما قرره من التحديث والرواية فانتهت إليه الرياسة كما أشرنا إلى ذلك قريبًا.

يقول ولده بهاء الدين الحافظ أبو محمد القاسم: قال لي أبي: لما حملت بي أمي رأت في منامها قائلا يقول لها: تلدين غلامًا يكون له شأن فإن الله تعالى يبارك لك والمسلمين فيه.

وصدقت اليقظة منامها ونبهه السعد فأسهره الليالي في طلب العلم وغيره سهرها في الشهوات أو نامها وكان له الشأن العظيم والشأو الذي يجل عن التعظيم.

ثم انصرف إلى الجمع والتصنيف والرواية والتأليف وهذا يتطلب إلى جانب التزامه بالقيام بواجباته العبادية تخليًا عن العمل لتحصيل الأملاك والمنافع وبناء الدور إلى المواظبة على طاعة الله وعدم التطلع إلى أسباب الدنيا وإعراضه عن المناصب الدينية كالإمامة والخطابة بعد أن عرضتا عليه وانكب على التصنيف فصنف التصانيف المفيدة وخرج التخاريج وكان حسن الكلام على الأحاديث محظوظًا في الجمع والتأليف.

آثاره ومؤلفاته:

١ - إتحاف الزائر.
٢ - الاجتهاد في إقامة فرض الجهاد وهو أربعون حديثًا.
٣ - أربعون البلدان.
٤ - أربعون حديثا من أربعين شيخًا من أربعين مدينة.
٥ - الأربعون الطوال في ثلاثة أجزاء.
٦ - أربعون المساواة.
٧ - أربعون المصافحات.
٨ - الأحاديث الخماسيات وأخبار ابن أبي الدنيا.
٩ - الأحاديث المتخيرة في فضائل العشرة في جزئين.
١٠ - أخبار أبي عمرو الأوزاعي (وفضائله عن معجم الأدباء).
١١ - الإشراف على معرفة الأطراف في الحديث أربعة مجلدات.
١٢ - أمالي في الحديث.
١٣ - التاريخ الكبير لدمشق مشهور في مجلدات.
١٤ - تاريخ المزة.
١٥ - التالي لحديث مالك العالي (١٩ جزءًا).
١٦ - تبيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الأطيط.
١٧ - تبيين الإمتان بالأمر بالختان.
١٨ - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري.
١٩ - ثواب الصبر على المصاب بالولد.
٢٠ - جزء حديث الهبوط.
٢١ - جزء كفر سوسية (أحاديث جماعة من كفر سوسية).

٢٢ - الزهادة في بذل الشهادة في مجلد.

٢٣ - سباعيات في الحديث.

٢٤ - عوالي شعبة في مجلد (إجابة السؤال في أحاديث شعبة).

٢٥ - عوالي الثوري في مجلد.

٢٦ - عوالي مالك في الحديث خمسين جزءًا.

٢٧ - غرائب مالك - عشرة أجزاء.

٢٨ - فضل أصحاب الحديث.

٢٩ - فضل الجمرتين.

٣٠ - فضل الربوة.

٣١ - فضل عسقلان.

٣٢ - فضل مقام إبراهيم.

٣٣ - القول في جملة الأسانيد في حديث المؤيد.

٣٤ - كتاب الاعتزاز بالهجرة - إعزاز بالهجرة (إعزاز الهجرة عند إعواز النصرة. سير الأعلام).

٣٥ - كتاب السداسيات.

٣٦ - كتاب طرق حديث عبد الله بن عمر.

٣٧ - كتاب فضل مكة.

٣٨ - كتاب فضل المدينة.

٣٩ - كتاب فضل قريش والأنصار والأشعريين وذم الرافضة.

٤١ - كتاب ذم قرناء السوء.

٤٢ - كتاب ذم من لا يعمل بعلمه.

٤٣ - كتاب أحاديث أهل صنعاء الشام.

٤٤ - كتاب أحاديث أبي الأشعث الصنعاني.

٤٥ - كتاب حنش والمطعم وحفص الصنعانيين.

٤٦ - كتاب يوم المزيد.

٤٧ - كتاب الخضاب.

٤٨ - كتاب المسلسلات.

٤٩ - كتاب المعجم لمن سمع منه وأجاز له.

٥٠ - فضل الكرام على أهل الحرم.

٥١ - كتاب أخبار أبي محمد سعيد بن عبد العزيز وعواليه.

٥٢ - كتاب في الصفات.

٥٣ - كتاب طرق قبض العلم.

٥٤ - كتاب فضائل الصديق.

٥٥ - كتاب ما وقع للأوزاعي في العوالي جزء.

٥٦ - كتاب الأبدال لم يتم.

٥٧ - كتاب العزلة.

٥٨ - كتاب كشف المغطى في فضل الموطأ.

٥٩ - كتاب حديث أهل قرية الحميريين وقبيبات.

٦٠ - كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا.

٦١ - حديث أهل قرية البلاط.

٦٢ - كتاب حديث سلمة بن علي الحسني البلاطي.

٦٣ - كتاب حديث بسرة بن صفوان وابنه وابن ابنه.

٦٤ - كتاب حديث سعد بن عبادة.

٦٥ - كتاب حديث أهل رندين وجبرين.

٦٦ - كتاب حديث أهل بيت سواي.

٦٧ - كتاب حديث رومة ومسرايا والقصر.

٦٨ - كتاب حديث جماعة من أهل حرستا.

٦٩ - كتاب حديث أهل كفربطنا.

٧٠ - كتاب حديث أهل دقانيا وحجراء وعين توما وجديا وطرميس.

٧١ - كتاب حديث جماعة من أهل جوبر.

٧٢ - كتاب حديث يحيى بن حمزة البتلهي وعواليه.

٧٣ - كتاب مجموع حديث محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي البتلهي.

٧٤ - كتاب حديث أبي بكر بن محمد بن رزق الله المنيني.

٧٥ - كتاب مجموع أحاديث جماعة من أهل بعلبك.

٧٦ - كتاب تكميل الإنصاف والعدل بتعجيل الإسعاف بالعزل.

٧٧ - كتاب الملتمس من عوالي مالك بن أنس ٣١ جزءًا.

٧٨ - كتاب رفع التخليط عن حديث الأطيط.

٧٩ - كتاب ذكر البيان في فضائل كتابة القرآن.

٨٠ - كتاب دفع التثريب على من فسر معنى التثريب.

٨١ - كتاب حلول المحنة بحصول الابنة.

٨٢ - كتاب الجواهر واللآلئ في الأبدال العوالي.

٨٣ - كتاب الجواهر المبسوط لما ذكر حديث الهبوط.

٨٤ - كتاب مسلسل العيدين.

٨٥ - كتاب الإنذار بحدوث الزلازل.

٨٦ - كتاب ترتيب الصحابة في مسند أبي يعلي.

٨٧ - مسند أبي حنيفة.

٨٨ - مسند أهل داريا.

٨٩ - مسند مكحول.

٩٠ - معجم الصحابة.

٩١ - ترتيب الصحابة في مسند أحمد.

٩٢ - معجم النسوان (كتاب من سمع منه من النسوان).

٩٣ - مناقب الشبان - خمسة عشر جزءًا.

٩٤ - من وافقت كنيته كنية زوجته - في مجلد.

٩٥ - الموافقات على الأئمة الثلاثة الثقات في الحديث - في ستة مجلدات (كتاب الموافقات على شيوخ الأئمة الثقات ٧٢ جزء).

٩٦ - تشريف يوم الجمعة - ٧ أجزاء.

٩٧ - تقوية السنة على إنشاء دور السنة.

٩٨ - الاقتداء بالصادق في حفر الخندق.

٩٩ - المستفيد في الأحاديث السباعية الأسانيد.

١٠٠ - مجموع الرغائب مما وقع من حديث مالك من الغرائب (١٠ أجزاء).

١٠١ - معجم أسماء القرى والأمصار.

١٠٢ - معجم الشيوخ النبلاء (النبل).

١٠٣ - معنى قول عثمان: ما تعنيت ولا تمنيت.

١٠٤ - المقالة الفاضحة للرسالة الواضحة.

١٠٥ - من لا يكون مؤتمنًا لا يكون مؤذنًا.

هذا الجهد أمضى أبو القاسم طيلة حياته في بذله حيث اشتهر اسمه في الأرض ولم يكن له نظير في زمانه من حيث سعة علمه ودأبه على العمل ولم يزل طول عمره مواظبًا على صلاة الجماعة ملازمًا لقراءة القران مكثرًا من النوافل والأذكار والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار وكان يختم كل جمعة ولم ير إلا في اشتغال يحاسب نفسه على ساعة تذهب في غير طاعة [١].

وبقي منكبًا على التأليف والتصنيف والتدريس وكان الملك العادل محمود بن زنكي نور الدين قد بنى له دار الحديث النورية فدرس بها إلى حين وفاته غير ملتفت إلى غيرها ولا متطلع إلى زخرف الدنيا ولا ناظر إلى محاسن دمشق ونزهها بل لم يزل مواظبًا على خدمة السنة والتعبد باختلاف أنواعه: صلاة وصيامًا واعتكافًا وصدقة ونشر علم وتشييع جنائز وصلات رحم إلى حين قبض [٢].

توفي في رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ليلة الاثنين حادي عشر الشهر وصلى عليه القطب النيسابوري وحضره صلاح الدين ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير [٣]

قال العماد [٤]: وكان الغيث قد احتبس في هذه السنة فدر وسح عند ارتفاع نعشه فكأن السماء بكت عليه بدمع وبله وطشه.

وقال الحسين بن عبد الله بن رواحة يرثي أبا القاسم بن عساكر [٥]:

(١) طبقات الشافعية للسبكي: ٧ / ٢١٧، وسير أعلام: ٢٠ / ٥٦٢.
(٢) طبقات الشافعية للسبكي: ٧ / ٢٣٣.
(٣) سير الأعلام: ٢٠ / ٥٧٠، طبقات السبكي: ٧ / ٢٣٣، وفيات الأعيان ٣ / ٣١١، معجم الأدباء: ١٣ / ٧٥.
(٤) معجم الأدباء: ١٣ / ٧٥.
(٥) القصيدة في معجم الأدباء: ١٠ / ٤٨ - ٥٥ في ترجمة الحسين بن عبد الله بن رواحة وبعضها في سير الأعلام: ٢٠ / ٥٦٨.

ذرا السعي في نيل العلى والفضائل ::: مضى من إليه كان شد الرواحل
وقولا لساري البرق إني نعيته ::: بنار أسى أو دمع سحب هواطل
وما كان إلا البحر غار ومن يرد ::: سواحله لم يلق غير جداول
وهبكم رويتم علمه عن رواته ::: وليس عوالي صحبه بنوازل
فقد فاتكم نور الهدى بوفاته ::: وعز التقى منه ونجح الوسائل
خلت سنة المختار من ذب ناصر ::: فأقرب ما نخشاه بدعة خاذل
نحا للإمام الشافعي مقالة ::: فأصبح شافي عي كل مجادل
وسد من التجسيم باب ضلالة ::: ورد من التشبيه شبهة باطل

مكانة أبي القاسم بن عساكر وما قيل فيه:

يقول السبكي [1]: هو الشيخ الإمام: ناصر السنة وخادمها وقامع جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمها إمام أهل الحديث في زمانه وختام الجهابذة الحفاظ ولا ينكر أحد منه مكانة مكانه محط رحال الطالبين وموئل ذوي الهمم من الراغبين الواحد الذي أجمعت عليه الأمة والبحر الذي لا ساحل له.

ويقول ابن خلكان [2]: كان محدث الشام في وقته ومن أعيان الفقهاء الشافعية غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره.

قال سعد الخير: ما رأيت في سن ابن عساكر مثله [3].

قال أبو القاسم بن عساكر: سمعت التاج المسعودي يقول: سمعت أبا العلاء الهمذاني يقول لرجل استأذنه في الرحلة قال: إن عرفت أحدًا أفضل مني حينئذ آذن لك أن تسافر إليه إلا أن تسافر إلى ابن عساكر فإنه حافظ كما يجب [4].

(١) طبقات الشافعية: ٧ / ٢١٦.
(٢) وفيات الأعيان: ٣ / ٣٠٩.
(٣) تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٣١.
(٤) تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٣١، طبقات السبكي: ٧ / ٢١٨.

وقال شيخه الخطيب أبو الفضل الطوسي: ما تعرف من يستحق هذا القلب سواه - يعني لفظة الحافظ.

ومن ألقابه: ثقة الدولة وصدر الحفاظ وناصر السنة وجمال السنة والثقة.

وجميعها تؤكد مكانته وعلمه وثقة العلماء والناس بحديثه وروايته

أما لقبه: " ابن عساكر " فيقول السبكي [١]: ولا نعلم أحدًا من جدوده يسمى عساكر وإنما هو اشتهر بذلك يقول الذهبي في السير [٢]: فعساكر لا أدري لقب من هو من أجداده أو لعله اسم لأحدهم.

وأول من أثبت هذا اللقب ابن الجوزي [٣] قال: علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي المعروف بابن عساكر.

وقال فيه الشيخ النووي: هو حافظ الشام بل هو حافظ الدنيا الإمام مطلقًا الثقة الثبت [٤].

وقال ابن الدبيثي [٥]: أحد من اشتهر ذكره وشاع علمه وعرف حفظه وإتقانه.

وقال: أبو القاسم ختم به هذا الشأن ولم يخلف بعده في الحديث مثله ولا أرى مثل نفسه في معرفة الحديث ومعرفة رجاله.

وقال الذهبي في السير [٦]: وبلغنا أن الحافظ عبد الغني المقدسي

(١) طبقات السبكي: ٧ / ٢١٥.
(٢) سير الأعلام: ٢٠ / ٥٥٥.
(٣) المنتظم ط بيروت: ١٨ / ٢٢٤.
(٤) طبقات السبكي: ٧ / ٢١٩.
(٥) ذيل تاريخ بغداد: ١٥ / ٣٠١.
(٦) سير الأعلام: ٢٠ / ٥٦٨.

بعد موت ابن عساكر نفذ من استعار له شيئا من تاريخ دمشق فلما طالعه انبهر لسعة حفظ ابن عساكر ويقال: ندم على تفويت السماع منه فقد كان بين ابن عساكر وبين المقادسة واقع رحم الله الجميع.

شعره:

وللحافظ أبي القاسم بن عساكر شعر كثير قلما أملى مجلسا إلا ختمه بشيء من شعره.

ومن أبيات بعثها إلى أبي سعد بن السمعاني يعاتبه على كتاب كان أبو سعد قد بعثه إليه:

ما كنت أحسب أن حاجاتي إليك ::: ك وإن نأت داري مضاعه
أنسيت ثدي مودتي ::: بيني وبينك وارتضاعه
ولقد عهدتك في الوفاء ::: أخا تميم لا قضاعة [1]

ومن شعره [2]:

ألا إن الحديث أجل علم ::: وأشرفه الأحاديث العوالي
وأنفع كل نوع منه عندي ::: وأحسنه الفوائد والأمالي
فإنك لن ترى للعلم شيئا ::: تحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه ::: وخذه عن الشيوخ بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى ::: من التصحيف بالداء العضال

ومن شعر الحافظ أبي القاسم بن عساكر أيضا [3]:

أيا نفس ويحك جاء المشيب ::: فماذا التصابي وماذا الغزل
تولى شبابي كأن لم يكن ::: وجاء مشيبي كأن لم يزل
كأني بنفسي على غرة ::: وخطب المنون بها قد نزل

(١) طبقات السبكي: ٧ / ٢٢٢.
(٢) وفيات الأعيان: ٣ / ٣١٠، وسير الأعلام: ٢٠ / ٥٦٩، شذرات الذهب: ٤ / ٢٣٩.
(٣) سير الأعلام: ٢٠ / ٥٦٩ ـ ٥٧٠، وفيات الأعيان: ٣ / ٣١٠، ومعجم الأدباء: ١٣ / ٨٦.

قيا ليت شعري ممن أكون ::: وما قدر الله لي بالأزل

قال السمعاني: وأنشدني لنفسه ببغداد [1]:

وصاحب خان ما استودعته وأتى ::: ما لا يليق بأرباب الديانات
وأظهر السر مختارًا بلا سبب ::: وذاك والله من أوفى الجنايات
أما أتاه عن المختار في خبر ::: أن المجالس تغشى بالأمانات

قال السمعاني: وأنشدني لنفسه بنيسابور [2]:

لا قدس الله نيسابور من بلد ::: ما فيه من صاحب يسلي ولا سكن
لولا الجحيم الذي في القلب من حرق ::: لفرقة الأهل والأحباب والوطن
يا قوم دوموا على عهد الهوى وثقوا ::: أني على العهد لم أغدر ولم أخن
ولا تدبرت عيشي بعد بعدكم ::: إلا تمثلت بيتًا قيل من زمن
فإن أعش فلعل الله يجمعنا ::: وإن أمت فقتيل الهم والحزن

تاريخ مدينة دمشق:

سمى أبو القاسم الحافظ ابن عساكر تاريخه: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها.

يفهم من تسميته أنه أرخ لمدينة دمشق في مرحلة ما أو في عصره والذي يعرض للكتاب يرى أن ابن عساكر لم يخص دمشق أو نواحيها فقط بل تعداها في الكلام فكتب لبلاد الشام كلها ويصبح التخصيص في التسمية قاصرًا عن الإحاطة بمضمون شمولية الكتابة والمواضيع والتراجم التي تطرأ إليها.

يقول د. شكري فيصل [3]: إن المؤلف لا يقدم لنا تاريخًا دمشقيًّا

(١) معجم الأدباء: ١٣ / ٨٦ - ٨٧.
(٢) معجم الأدباء: ١٣ / ٨٧.
(٣) تاريخ دمشق - عاصم - عائذ: ص ٧.

ولا تاريخًا شاميًّا فحسب وإنما يقدم تاريخًا حضاريًّا لهذه البلاد كلها التي انتشر فيها الإسلام وسادت فيها العربية وانساحت فيها مهاجرة العرب المسلمين بين أقصى الشرق فيما وراء النهر وبين أطراف المحيط.

ولقد خص الحافظ المجلدة الأولى بفضائل الشام وفتوح الشام عامة وبعض المجلدة بخطط دمشق وذكر مساجدها وكنائسها وأبوابها ودورها وأنهارها وقنواتها ثم بدأ بالترجمة لكل من دخلها أو اجتاز بنواحيها من أنبيائها وهداتها وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها ورواتها وقرائها ونحاتها وشعرائها ورواتها.

ولم يكن تاريخه أول تاريخ لدمشق والشام ولم يكن تاريخ دمشق الأول من نوعه بين كتب تاريخ المدن.

فقبله ألف " تاريخ لدمشق والشام ولم يكن تاريخ دمشق الأول من نوعه بين كتب تاريخ المدن.

فقبله ألف " تاريخ الرقة " للقشيري وتاريخ أصبهان لأبي نعيم وتاريخ نيسابور للحاكم وتاريخ بغداد للخطيب وهو أهم ما أنتج قبله.

ويمتاز تاريخ دمشق عن التواريخ التي سبقته أنه أوسعها مادة وأشملها توجهًا وفي قيمته ومكانته يقول: د المنجد [1]: لم تشهد دمشق في تاريخها محدثًا فاق الحافظ في الحديث ولم تعرف في تاريخها ثمانين مجلدة غيره فيكفيها فخرًا أنها أوتيت أوسع تاريخ كتب عن مدينة إسلامية كتبه مؤلف من أعظم العلماء في صدر الإسلام.

وفي قيمته صدر الأستاذ محمد كر علي المجلدة الأولى بقوله

(١) تاريخ دمشق المجلد الأول المقدمة ص ٣١.

[1]: ما حظيت مدينة في الإسلام بتاريخ لها يضاهي تاريخ دمشق هذا.

ويقول: وقد يكون تاريخ دمشق أوسع تواريخ المدن وهو أيضا من أوسع المصادر في تراجم الرجال. حتى ليجرد منه كتب على حدة في موضوعات مختلفة كولاة دمشق مثلا وقضاتها وشعرائها. ومنه يستخرج أحسن تاريخ لبني أمية سكتت معظم التواريخ عنه.

وهو إلى ذلك حوى عدة كتب مستقلة فكل طالب يظفر فيه بطلبته ويجد فيه ما لا يجده في كتاب غيره لأن ابن عساكر يمتاز بالتحري والبسط والاستقصاء وتتبع النوادر في سير المترجم لهم وأخبارهم.

ومن المؤكد أن الحافظ كان قد وضع تصوره العام لموضوع كتابه في وقت مبكر ولعله وضع النهج والمخطط التفصيلي لمضمون الموضوعات التي سيتناولها بالبحث ولعل هذا التصور المبدئي هو الذي دفع به إلى رحلتيه الأولى والثانية إلى بغداد ومنها إلى مكة وبلاد الحجاز ثم توجهه إلى بلاد العجم.

فقد تأكد بشهادة رفيقه وصديقه أبي سعد السمعاني أنه بدأ بكتابه قبل رحلته إلى بلاد العجم يقول السمعاني [2]: " دخل نيسابور قبلي بشهر سمعت منه وسمع مني وسمعت منه معجمه وحصل لي بدمشق نسخة منه وكان قد شرع في التاريخ الكبير لدمشق ".

وقد مضى فيما كتبناه أن رحلته إلى بلاد العجم كانت في سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

(١) تاريخ مدينة دمشق - المجلد الاول.
(٢) تذكرة الحفاظ ٤ / سير الأعلام ٢٠ / ٥٦٧.

وذكرنا أن عودته إلى دمشق كانت في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وأنه استقر فيها منصرفًا إلى التدريس والتصنيف والتأليف وكان نتاج رحلاته تحصيله علمًا كثيرًا وحفظه وإتقانه حديثًا واسعًا ومعرفة طرقه وأسانيده ومتونه وهو ما ظهر في كتاب تاريخ دمشق.

ويتحدث الحافظ في مقدمته عن كتابه وعمله ونهجه فيه فقال: أما بعد فإني كنت بدأت قديمًا بالاعتزام لسؤال من قابلت سؤاله بالامتثال والالتزام على جمع تاريخ لمدينة دمشق أم الشام حمى الله ربوعها من الدثور والانفصام وسلم جرعها من كيد قاصديهم بالاختصام فيه ذكر من حلها من الأماثل والأعلام فبدأت به عازمًا على الإنجاز له والإتمام فعاقت إنجازه وإتمامه عوائق الأيام من شدة الخاطر وكلال الناظر وتعاقب الآلام.

فصدفت عن العمل به برهة من الأعوام حتى كثر عليَّ في إهماله وتركته لوم اللوام وتحشيم من تحشيمه سبب لوجود الاحتشام وظهر ذكر شروعي فيه حتى خرج عن حد الاكتتام وانتشر الحديث فيه بين الخواص والعوام وتطلع إلى مطالعته أولو النهى ونوو الأحكام ورقى خبر جمعي له إلى حضرة الملك القمقام [1] الكامل العادل الزاهد المجاهد المرابط الهمام أبي القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر الإمام أدام الله ظل دولته على كافة الأنام وأبقاه مسلمًا من الأسواء منصور الأعلام منتقما من عداة المسلمين الكفرة الطغام معظمًا لحملة الدين بإظهار الإكرام لهم والاحترام منعمًا عليهم بإدرار الإحسان إليهم والأنعام عاقيًا عن ذنوب ذوي الإساءات

(١) القمقام من الرجال السيد الكثير الخير الواسع الفضل.

والاجترام بانيًا للمساجد والمدارس والأسوار ومكاتب الأيتام راضيًا بأخذ الحلال رافضًا لاكتساب الحطام آمرًا بالمعروف زاجرًا على ارتكاب الحرام ناصرًا للملهوف وقاهرًا للظالم العسوف بالانتقام قامعًا لأرباب البدع بالإبعاد لهم والإرغام خالعًا لقلوب الكفرة بالجرأة عليهم والإقدام وبلغني تشوقه إلى الاستنجاز له والاستتمام ليلم بمطالعة ما تيسر منه بعض الإلمام فراجعت العمل فيه راجيًا الظفر بالتمام شاكرًا لما ظهر منه من حسن الاهتمام مبادرًا ما يحول دون المراد من حلول الحمام مع كون الكبر مظنة العجز ومطية الأسقام وضعف البصر حائلا دون الإتقان له والأحكام والله المعين فيه بلطفه على بلوغ المرام.

وانتهى من تصنيفه في مرحلته الأولى سنة ٥٤٩ هـ وبلغ خمسمائة وسبعين جزءًا ثم أخذ يزيد فيه ويضم إليه ما يستجد عنده حتى تمت نسخته الجديدة والمؤلفة من ثمانين مجلدًا سنة ٥٥٩ هـ وقد رد المنجد [١] أن الحافظ سلخ في تأليف تاريخه ثلاثين سنة أو أقل قليلا.

ويقول ياقوت الحموي [٢]: وجمع وصنف فمن ذلك: كتاب تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها أوردها في خمسمائة وسبعين جزءًا من تجزئة الأصل والنسخة الجديدة ثمانمائة جزء.

ويقول الذهبي [٣]: وصنف وجمع فأحسن فمن ذلك تاريخه في ثمان مائة جزء قلت: الجزء عشرون ورقة فيكون ستة عشر ألف ورقة.

(١) تاريخ دمشق - المجلد الأول المقدمة ص ٣٣.
(٢) معجم الأدباء ١٣ / ٧٦.
(٣) سير الأعلام: ٢٠ / ٥٥٨.

وفي تقديمه د شكري فيصل [1] تاريخ مدينة دمشق مظهرًا مكانته بين كتب التراث بعامة ومكانته من كتب التاريخ بخاصة ومكانته من التاريخ لبلاد الشام بوجه أخص يقول: إنه يؤرخ لجوانب من الجاهلية من حيث يترجم لرجال من الجاهليين والمخضرمين عرفوا دمشق وأعمالها أو حلوا بها أو اجتازوا بنواحيها من وارديها وأهلها كما يقول في عنوان كتابه، ثم هو يؤرخ للسيرة النبوية بجوانبها وللذي اتصل بها ونتج عنها وما كان فيها من أحداث وذلك حين يبدأ كتابه بسيرة النبي ﷺ ويخصص لذلك نصف المجلدة الثانية ثم هو يترجم للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ولمن كان حولهم ومعهم تراجم طويلة مستوفاة فتأتي هذه التراجم وكأنها تاريخ للعصر كله بالكثير من دقائقه التي لا نجد بعض مادتها عند غيره والتي لا تمتد في بلاد الشام وحدها بل في أقطار الإسلام كلها حيث انتشر هؤلاء العرب في العصر الأموي من أقطار الدنيا هداة أو دعاة قوادًا أو علماء.

ومن الطبيعي أن يكون كتاب ابن عساكر أغنى المصادر عن تاريخ الأمويين. ولكن تاريخ الأمويين ليس تاريخهم هم فحسب وإنما هو تاريخ العرب والمسلمين في الفترة التي كانت فيها دمشق عاصمة الحياة العربية.

وما أكثر ما تواشجت الصلاة في القرن الأول في مقر الخلافة وهل كانت الجماعات العربية بكبار رجالها أو أرهاط قبائلها في غنى عن زيارة الشام والوفود على الخلفاء والاستجابة لندبهم في هذه البعوث أو تلك أو في الفتوحات البرية أو في الفتوحات البحرية؟ ألم تكن الشام في السلم والحرب في معارك صفين أو في حركات

(١) تاريخ دمشق المطبوعة عاصم - عائذ المقدمة ص ٧ - ٨.

العراق والحجاز في البعوث نحو إفريقيا أو نحو القسطنطينية هي مهاد هذا الملتقى الكبير الذي انصهرت فيه القبائل وامتدت أمة واحدة هنا نحو أقصى الشرق وهناك نحو أقصى الغرب. ألا يؤكد ذلك كله عندنا أن هذا التاريخ هو تاريخ للعالم الإسلامي كله من خلال هذه العدسة الضوئية الصغيرة المكبرة: دمشق وهل كانت الشام بمعزل عن الحياة والمشاركة فيها في القرون التي تلت قيام الدولة العباسية؟ ألم يدخلها علماء وخلفاء وقواد؟ ألم يرتحل منها فقهاء وشعراء وولاة وقضاة ورواة كان لهم في صياغة تاريخ العرب والمسلمين جميعًا نصيب؟ إن تاريخ دمشق لابن عساكر يقدم للذين يدرسون التاريخ الأندلسي: فتوحاته وسياسته وإمارته وخلافته وإدارته وقيادته وعلومه وثقافته وأدبه وفكره مادة طيبة وخاصة في بداياته الأولى مما هو جدير بالتتبع له والإفادة منه.

وكان تاريخ ابن عساكر: يمتد في المكان امتداد بلاد الشام من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها ثم يجاوز ذلك ليكون على امتداد الوطن الإسلامي والثقافة الإسلامية.

ويمتد في الزمان ليسجل أطرافا من تاريخ الجاهلية ثم يكون تاريخا للسيرة النبوية والعصر الراشدي والخلافة الأموية ثم ما بعدها من الخلافة العباسية والدويلات حتى وفاة ابن عساكر في أواخر القرن السادس الهجري " ٥٧١ ".

ويمتد عمقًا في فهم التاريخ فلا تستوقفه الأحداث والوقائع وحدها وإنما يتناول روح التاريخ حين يقدم لنا المادة الأولية الغنية لرصد الحركة الحضارية: دينًا وشريعة وثقافة وفكرًا، كذلك كان وكذلك يجب أن نفهمه وأن ننظر إليه ومع أهمية هذا الكتاب فإن مؤلفه الحافظ أبا القاسم كان محدثا قبل أن يكون مؤرخا وقد غلب

عليه الحديث حيث تعمق فيه معرفة متنًا وسندًا وطرقًا حتى غدا إمام أهل الحديث في زمانه[1] لذلك فقد سلك في تاريخه هذا نهج المحدثين فهو يبدأ بذكر السند ثم يورد الخبر [2].

وهذا يعني أن بعض القضايا التي تشغل بال المؤرخين ويهتمون بها قد يمر بها عرضًا وقد لا يذكرها مطلقًا لأنها لا تدخل في دائرة اهتمامه، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه يختلف عن غيره من المؤرخين فهو يبحث عن مادة معينة يريد أن يقرها في ذهن قارئه وهناك قضايا أساسية يفتش عنها [3].

وهذا النهج هو الذي تبعه جميع المحدثين الذين سبقوه وألفوا في تاريخ المدن.

وأما التراجم فقد رتبت على حروف الهجاء وبدأ بمن اسمه أحمد قبل من كان اسمه إبراهيم واعتبر الحروف في أسماء آبائهم وأجدادهم وأردف ذلك بمن عرف بكنيته ولم يقف على حقيقة تسمية ثم بمن ذكر بنسبته وبمن لم يسم في روايته وأتبعهم بذكر النسوة والإماء والشواعر.

وابن عساكر حين يترجم لمن يترجم لهم من الشاميين أو غيرهم لا يسوغ الترجمة على أنها نتيجة مطالعاته وقراءاته ولا يصوغها على أنها خلاصة أفكاره واطلاعاته. وإنما يقدم لك مادتها الأولى مسندة في كل جزئية من جزئياتها حتى في الاسم أو الكنية أو يوم الوفاة وتتعدد صور الخبر بتعدد الأسانيد التي انتهت إليه والروايات التي جاء عليها وقد تتكاثر الأسانيد على خبر واحد في صورة واحدة أو صور متقاربة.

(١) طبقات السبكي: ٧ / ٢١٥.
(٢) تاريخ دمشق المجلد الأول المقدمة ص ٣٣.
(٣) تاريخ دمشق: عثمان بن عفان المقدمة - أوب.

إنه يتابع أصحاب الحديث في طريقتهم في الإسناد وكانت تلك هي الطريقة السائدة في كل فروع الثقافة الإسلامية: تثبتًا من الخبر وتوخيًا للحق فيه ونشدانًا للصواب حتى إذا تتابعت القرون تحلل أصحاب الأخبار الأدبية من ذلك ثم لحق بهم مؤرخون من المؤرخين وأصحاب التراجم.

وبقي ابن عساكر ومن في طبقته يمثلون ذروة هذا الأسلوب في القرن السادس الهجري، ولهذا فإن كل ما عند ابن عساكر في تاريخه يتشعب في هذين القسمين الكبيرين: الأسانيد والأخبار [١].

وكان ابن عساكر صاحب منهج فما كان من الأحاديث متفقا مع منجه جال فيه وصال وأسهب وأطنب وهذا لا يعني أنه لم يكن موضوعيًا فلا يظن أنه التزم المنجهية التزامًا دقيقًا إذ لم يكن بإمكانه أن يفعل ذلك فهو ينقل أخبارًا وأحاديث متعددة الجوانب وكثيرًا ما يكون مضطرًا إلى روايتها بتمامها حرصًا على سلامة الرواية وتمام الحديث أو الخبر أذياله: ولهذا التاريخ أذيال منها [٢]:

- ذيل ولد المصنف القاسم ولم يكلمه.
- ذيل صدر الدين البكري.
- ذيل عمر بن الحاجب.
- وذيل علم الدين البرزالي.
- ذيل أبي يعلى ابن القلانسي.

مختصراته [٣]: وله مختصرات منها: - ما اختصره الإمام أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي المتوفي سنة ٦٦٥ هـ وهو

(١) تاريخ دمشق المطبوعة عاصم - عائذ المقدمة: ص ١٦، وانظر مجلة المجمع العلمي بدمشق المجلد: ٤٩.

(٢) انظر كشف الظنون: ١ / ٢٩٤، الوافي بالوفيات: ١ / ٤٨.

(٣) كشف الظنون: ١ / ٢٩٤، والوافي بالوفيات ١ / ٤٨، والمجلد الأول مقدمة الدكتور المنجد: ص ٣٧، ٣٨.

نسختان كبرى في خمسة عشر مجلدًا وصغرى.

- مختصرًا للقاضي جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري صاحب لسان العرب نزله في نحو ربعه.

- مختصر للشيخ بدر الدين محمود بن أحمد العيني.

- انتقى منه جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وسماه " تحفة المذكر المنتقى من تاريخ ابن عساكر ".

- الذيل على ذيل البرزالي للقاضي تقي الدين أبي بكر بن شهبة.

- منتخب للقاسم بن علي بن عساكر.

- منتخب للصفار.

- انتقى منه أحمد بن عبد الدائم المقدسي كتابا سماه: فاكهة المجالس وفكاهة المجالس.

- تعليق من تاريخ مدينة دمشق لأحمد بن حجر.

- مختصر لإسماعيل بن محمد الجراح اسمه: العقد الفاخر بتاريخ ابن عساكر.

- مختصر لأبي الفتح الخطيب.

- تهذيب ابن عساكر لعبد القادر بدران.

وقد صدر منه خمسة أجزاء ثم تابع العمل فيه الأستاذ أحمد عبيد فطبع منه جزءين: السادس والسابع ينتهي السابع بترجمة عبد الله بن سيار [1].

* * *

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق علي شيري، من طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.